الحكما وآداب البلغا وأقوال الشعراء لأن القلوب ترتاح إلى الفنون المختلفة
قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إن القلوب تمل كما تمل الأبدان فاهدوا
إليها طرائف الحكمة وكان المأمون يتنقل في قصره من موضع إلى موضع
وينشد قول أبي العتاهية

لا يصلح النفس إذا كانت مدبرة .. إلا التنقل من حال إلى حال

والكتاب خمسة أبواب الأول في فضل العقل وذم الهوى الثاني في أدب
العلم الثالث في أدب الدين الرابع في أدب الدنيا الخامس في أدب النفس

الباب الأول

في أدب العقل وذم الهوى العقل أس الفضائل وينبوع الآداب أوجب
الله التكليف بتمامه وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه وجعل ما
تعبد به العباد قسمين قسم أوجبه العقل فوكده الشرع وقسم
جائز في الشرع فأوجبه الشرع وقال عليه السلام ما اكتسب المرء
مثل عقل يهدي صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى وقال لكل شيء
دعامة ودعامة عقل المرء عقله وقال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه أصل الرجل عقله وحسبه دينه ومروءته خلقه وقيل العقل
أفضل مرجو والجهل أنكى عدو وقيل صديق المرء عقله وعدوه
جهله ومن إنشاد إبراهيم بن حسان

يشين الفتى في الناس قلة عقله .. وإن كرمت أعراقه ومناسبه

والعقل قسمان غريزي ومكتسب
فالغريزي هو الحقيقي وبه يمتاز الإنسان من سائر الحيوان وله حد يتعلق
به التكليف وإذا تم في الإنسان سمي عاقلا كما قال صالح بن عبد القدوس

إذا تم عقل المرء تمت أموره .. وتمت أياديه وتم بناؤه

واختلف فيه فقيل إنه جوهر لطيف يفصل فيه بين حقائق المعلومات
ومحله الدماغ لأنه محل الحس وقيل محله القلب لأنه معدن الحياة ومادة
الحواس لأن الجواهر متماثلة فلا يوجب بعضها ما لا يوجب سائرها
والجوهر يصح قيامه بذاته فلو كان العقل جوهرا لجاز أن يكون عقل بغير

عاقل وقيل إنه

عاقل وقيل إنه المدرك للأشياء على ما هي عليه لأن الإدراك
من صفات الحي والعقل عرض يستحيل ذلك منه كما يستحيل أن يكون
ملتذا أو آلما وغير ذلك وقيل إنه جملة العلوم الضرورية وفيه إجمال
وقيل وهو الصحيح إنه العلم بالمدركات الضرورية وهو نوعان أحدهما ما
وقع عن درك الحواس كالمرئيات المدركة بالنظر والأصوات المدركة
بالسماع والطعوم المدركة بالذوق والروائح المدركة بالشم
والأجسام المدركة باللمس ومن علم من حاله أنه أدرك هذه الأمور
لعلمها فهو عاقل وإن منعته آفة عن إدراك بعضها كمن بها في البصر أو في
السمع الثاني ما كان مبتدأ في النفوس كالعلم بأن الشيء لا يخلو من وجود
أو عدم وأن الموجود لا يخلو من حدث أو قدم وأن من المحال اجتماع الضدين
وأن الواحد أقل من الاثنين وهذا لا ينتفي عن العاقل مع سلامة حاله وهو
منقول من عقل الناقة بالعقال لأنه يمنعها من الشرود كما يمنع العقل
صاحبه من الشهوات وقال عامر بن قيس إذا عقلك عقلك عما لا ينبغي
فأنت عاقل وقال عليه السلام العقل نور في القلب يفرق بين الحق والباطل
ومن هنا أن يكون العقل جوهرا جعل محله القلب لأن القلب محل العلوم
كلها كما قال الله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها والعقل الغريزي هو
ثمرته المعروفة وصحة السياسة وإصابة الفكر ولا حد له لأنه ينمى
بالحنكة وكثرة التجاريب ومصادمة الأمور ولذلك قيل المشايخ إنهم
أشجار الوقار ومنابع الأخبار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم
إن رأوك في قبيح صدوك وإن أبصروك على جميل أمدوك وقيل كفى بالتجارب تأدبا
وبتقلب الأيام وقيل التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل وبعضهم

ألم تر أن العقل زين لأهله .. ولكن تمام العقل طول التجارب

وقد يتصف العقل بفرط الذكاء وحسن الفطنة وجودة الحدس في بعض يكون
الأحداث من وفور الرأي ولذلك قيل عليكم بمشاورة الأحداث فإنهم
ينتجون رأيا لم يفله طول القدم ولا استولت عليه رطوبة الهرم وبعضهم

Copyright King Saud University